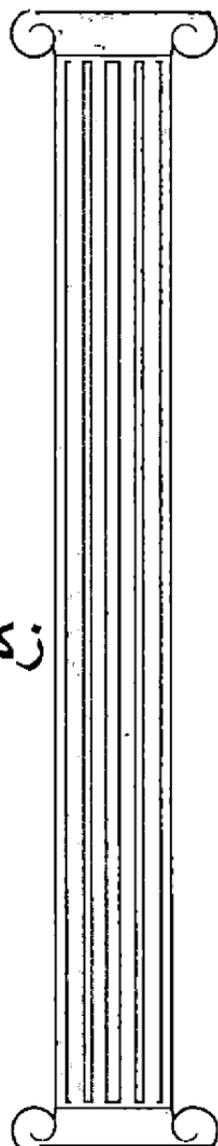


# الفصل الثانى

الحوار الذى دار بين

زكى نجيب محمود ومفكرى مصر



السؤال الأول: أ. د. حسن حنفي (أستاذ الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة) :

نشكر أ. د. زكي نجيب محمود على هذا التقديم . وفي الحقيقة أن هناك تساؤلات نريد أن نستوضحها منه .

أولاً : هناك تساؤل يتبادر إلى أذهان زملائه وطلابه عن هذه المرحلة التي بدأت في السبعينات بالمقارنة بالمرحلة السابقة عليها؛ هل هناك تواصل أم انقطاع ؟ ؛ هل هناك استمرارية بين المنهج التحليلي والوضعية المنطقية للذات سادا قبل السبعينات ثم تطبيق ذلك في التراث العربي - الإسلامي؟! هل التواصل في المنهج أم هل هناك تغير في الموضوع؟ هل هناك مرحلتان في حياة الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود أم هناك مرحلة واحدة متصلة؟!

وثانياً : أما السؤال الثاني الذي يتبادر إلى الذهن عن ما قاله الدكتور زكي نجيب محمود باستمرار عن الشرق الفنان والغرب العالم، وأنا كعرب عرفت عبقرتنا في اللغة، وفي الأدب والشعر والتصوف وفي الدين إلخ.. أما الغرب فعبقرته في العقل والعلم وحقوق الإنسان .. إلخ .. ألا يعتبر ذلك قسوة علينا وأنا أعطينا أقل مما نستحق! وربما أيضاً يكون الغرب قد أعطى أكثر مما يستحق!؛ فلدينا علم وعقل في التاريخ، كما أن لدى الغرب تصوف ووجدان أيضاً. إن هذا التفاعل بين غروب من الشرق، وشروق من الغرب نريد أن نستوضحه من أستاذنا الدكتور زكي نجيب .

الأستاذ الدكتور . زكى نجيب محمود :

أما عن السؤال الأول : هل هما مرحلتان فى حياتى أم مرحلة واحدة؟

فى الحقيقة أنى لم أتغير حقيقة أبداً فى هذه النظرة أو فى تلك الوقفة (يقصد فى رؤيته التحليلية العلمية) ، إلا أن التطبيق قد اختلف ؛ فالكتابة الحديثة التى نستطيع أن نقول أنها بدأت كما تقول بكتاب «تجديد الفكر العربى» سنة ١٩٧٠م وإلى يومنا هذا. قد انصرفت عن المادة العلمية بمعناها الضيق، ذلك الذى كان يسود كتيبى السابقة أو معظمها، فقد كانت كتباً كتبت للجامعة مثل كتاب «المنطق» فى جزئين، وكتاب «برتراند رسل»، وكتاب «ديفيد هيوم» ومع ذلك فقد كتبت لتخدم هذا المذهب الذى ذهبت إليه فى كتابى «نحو فلسفة علمية». نفس الشيء كان فى كتاب «جابر بن حيان» .. إلخ . كل هذه الكتب كتبت فى موضوعات شغلتنى لكنها كانت فى نفس الموضوع .

أما كونى أطبق هذا المنهج نفسه، المنهج التحليلى ، تحليل اللغة فى قضايا الثقافة القائمة، الثقافة المعاصرة وفى التماس طريق يصل تراثى بالعصر، فهذا هو الذى شغلنى فى المرحلة الثانية. ولكن ذلك تم دون أن يكون هنالك تغيير فى المنهج .

أما بالنسبة للسؤال الثاني ، فقد ظلمتني يا دكتور حسن لأنني في كتاب «الشرق الفنان» عندما قسمت الثقافات كما عرفها التاريخ، قسمتها إلى ثلاثة أصناف أو ثلاث اتجاهات وليس اثنين!؛ فهناك الصنف الأول - الطرف الغربي - اليونان في أوله وامتداده في الغرب حتى يومنا هذا . هؤلاء يدورون حول محور أساسي هو منطق العقل - التحليلي . وانظر إلى ما كتبه: أنظر إلى فعل سقراط، وماذا كتبه أفلاطون ، وماذا كتب أرسطو .. وهكذا . وبالطبع ستجد إلى جانب ذلك المحور الأساسي أن الأمر لا يخلو من أن يكون لديهم شعراء وأدباء من الطبقة الأولى. لكننا حينما نتكلم عن علم أو لا علم، يكون مجال حديثنا عن المادة أو المجال الصالح لأن يكون علماً لمن أراد أن يكون صاحب نظرة علمية .

أما الطرف المقابل لهذا الطرف ذا النظرة العلمية، فهو الشرق الأقصى ، الهند - الصين فالمعروف في تراثهم الفكري كما نجد في المهابهاراتا الهندية وفي كتابات بوذا.. إلخ أننا نقراً ولا نجد أبداً أى قطرة تشبه التحليل المنطقي الذي نجده عند أرسطو أو عند أفلاطون، إنما نجد حكمة، حكمة حياة، تلك الحكمة التي أصبحت دينهم. إنها تستخدم وسيلة إدراك هي نفسها الوسيلة الإدراكية التي تستخدم في التصوف أو في تذوق الفن .. الفن يريد لقطه مباشرة، وكذلك الإيمان الديني يريد لقطه مباشرة ولا يريد إقامة برهان.

أما بالنسبة للعرب، وبصفة خاصة بعد الإسلام. وأنا أقول بصفة خاصة لأننى توصلت بعد طول بحث وتفكير إلى أن كلمة عرب - ع. ر. ب لا تهمنى بقدر ما يهمنى النمط الثقافى فى هذه المنطقة المعروفة الآن بالعربية. إن النمط الثقافى فى هذه المنطقة منذ أيام الفراعنة هو ما عندنا الآن. فالظروف واحدة وتكاد تكون الفروق بين أقطارها وشعوبها فروق فى نوع اللغة، لكن لغتهم (يقصد لغة المصريين القدماء) واللغة العربية أساسها واحد. هكذا قرأت عند المختصين فى المصريات. المهم أن الوسط العربى هذا أمره عجيب لأنه جمع بين الطرفين السابقين وخاصة بعد ظهور الإسلام. فالعربى يستطيع أن يكون متصوقاً من الطبقة الأولى، وعالم رياضة من الطبقة الأولى فى نفس الوقت. واللغة العربية نفسها عندما ندقق فى كثير جداً من مفرداتها نجد أن المفرد الواحد يكون اسماً لشيء ويحمل فى طياته القيمة الأخلاقية التى تناسب مع المجال الذى يستخدم فيه هذا الإسم؛ على سبيل المثال: عندما تقول أمة. ما هى الأمة؟! إنهم مجموعة من الناس تآلفوا كما لو كانوا أبناء أم واحدة! وعلى ذلك فالتعامل بينهم يجب أن يكون كالتعامل بين الأخوة. إن المبدأ اخلقى يوضع فى الإسم! . كلمة جار: من هو الجار؟! إنه هو الذى يجير من يستجيره من جيرانه. إن الاسم جار وضعت فيه القيمة الأخلاقية التى ينبغى أن يتعامل بها الجار مع جاره. كلمة صديق:

وضعت القيمة الأخلاقية فى الكلمة حيث ينبغى أن تكون العلاقة بين الصديقين قائمة على الصدق بحيث لا يخذع أحداً منهما أحداً .

هذا التقابل : فى الكلمة الواحدة وفى العبارة الواحدة بين القيمة الأخلاقية من ناحية وبين التسمية لأشياء معينة من ناحية أخرى توضح لنا كيف اندمج الفكر الدينى والفكر العلمى .

لقد وجدنا النوابع فى كلا الطرفين المتقابلين (الغرب والشرق الأقصى) ، وجدنا أن هذا الدمج غير موجود لا عند الغربيين ولا عند الشرق الأقصى .

أما نحن ، فقد ترجمنا فلسفة اليونان بأسرها ، بمنطقها وعلومهم بأسرها . أما الهند فلم تفعل . لماذا لم يترجم الهنود فكر اليونان ؟! لماذا لم يترجموا فلسفة اليونان بينما ترجمناها نحن ؟! لأننا نملك معدة تهضم العلم وتهضم المعقولات وتهضم منطق العقل ، وهم ليس عندهم ذلك ! وبالطبع كان ذلك هو الشئ التقليدى السائد فى الماضى ، أما الآن فالأمر اختلف وأصبح العالم أسرة واحدة وإن بقت أصول الشعوب تختلف من شعب إلى آخر .

المهم يا دكتور حسن أنا لم أدرج العرب وتراثهم فى طرف آخر مقابل الطرف اليونانى . فنحن ترجمنا فكرهم وعلومهم . بل أننا لو نظرنا نظرة فاحصة إلى القرون الثلاثة الأولى بعد ظهور الإسلام لوجدنا مسألة

واضحة جداً؛ فالقرن الأول الهجرى نزل فيه الوحى. ولم تمض ستون أو سبعون سنة من هذا القرن حتى بدأت بشارات القرن الثانى الهجرى وما زخر به من علوم، علم اللغة (سيبويه والخليل بن أحمد والكسائى وغيرهم)، فقه وحديث، وتحقيق حديث، تفسير قرآن - علم الكلام الذى يأخذ مفردات من القرآن تريد التحليل وتحللها، هذا هو القرن الثانى: تحليلات علمية لمادة قرآنية - إسلامية إنه تحليل منطقى لما ورد. أما فى القرن الثالث فقد كانت الترجمة؛ ترجمة الثقافات المجاورة، ثقافات اليونان، الفرس، الهند.

ومن هذا نجد أنه قد أصبح أمامنا قناتين؛ قناة القرن الثانى وهى عبارة عن دراسات دينية ولغوية محلية. وقناة القرن الثالث الهجرى وجاءت بالثقافات المجاورة. وجاء القرن الرابع ليمثل الذروة بالنسبة للثقافة العربية، حيث نجد فى القرن الرابع وبداية القرن الخامس، نجد الصيغة الثقافية الجديدة التى ولدت وفيها الجانين معاً كما لو كانت القناتان صبتا المادة فى القرن الرابع، فتلاققت الدراسات الدينية واللغوية مع ما قد جاءهم من فلسفة اليونان وعلومهم أو من تصوف الفرس أو من غيرهم، فوجدنا صيغة جديدة جداً.

فعندما نأخذ على سبيل المثال شاعراً مثل أبو العلاء المعرى: من الذى يشبهه فى القرن الثانى أو الثالث أو فى ما قبل الإسلام؟! من

الذين يشبهه فى هذه الصيغة الجديدة التى نجدها فى شعره!! ليس له شبهه فىمن سبقه من العرب، ولا فى الطرف الغربى اليونانى . وكذلك ليس له شبهه فى طرف الشرق الأقصى .

وقل مثل هذا على عبد القاهر الجرجانى فى النقد، فما قاله فى النقد لا يقوله إلا واحد من المعاصرين الآن من الإنجليز أو من الأمريكيين ، إن ما قاله فى كتاب «أسرار البلاغة» أو فى «سر تفسير بلاغة القرآن» ، وتحليلاته لماهى الجملة البليغة تحليلات تشبه كثيراً جداً ما يقوله نقاد اليوم فى أوربا لأنه ارتكز فيها على ترتيب الألفاظ وهو يسميها نظم المفردات . هذا التركيز على ترتيب المفردات بحيث تناسب مع الخطوات التى يخطوها العقل عندما يفكر. هذه هى البلاغة!

أما رسائل إخوان الصفا ، فهى موسوعة علمية ضمت كل ما عرفته الحضارات والثقافات القديمة من علوم : رياضية ، طبيعية ، شرعية .. إلخ . إننا لو انتبهنا إلى هذه الموسوعة العجيبة ، وإلى سعة الأفق التى أبدأها إخوان الصفا لوجدنا أنهم منذ المجلد الأول يشرون ويدافعون عن هدم الحواجز بين الديانات ؛ فلكل دينه . ولكن فى نهاية الأمر تتلاقى هذه الديانات فى كون واحد عظيم .

إذن أنا لم أقل ذلك يا دكتور حسن عن الثقافة العربية، فالثقافة العربية قد شغلت اهتمامى وحللت أشياء كثيرة جداً فيها من منطلق أنها

ثقافة واحدة متميزة. وأنا لا أستطيع أن أقول أنها ثقافة غير علمية أو غير منطقية؛ وكيف أقول ذلك وقد كان من شروط المثقف العربى أن يكون عالماً بالنحو والمنطق؟ فقد كان من لا يعرف النحو ومن لا يعرف المنطق فى التراث العربى - الإسلامى ومهما كانت معارفه الأخرى يعد خارجاً عن ساحة الثقافة. لقد تحكّم منطق العقل فى العربى وفى كل تفكيره . وقد كانت براعتهم فى الرياضيات وجهاً من وجوه ذلك . وقد كانت تلك البراعة فى الرياضيات مشهورة لهم من خلال ما أنتجوه فيها .

السؤال الثانى :

أنا سعيد جداً أولاً بالفرصة التى أتحت لنا للقاء الأستاذ الكبير الدكتور زكى نجيب محمود، وسعيد جداً ثانياً لأن وزارة الثقافة ولأن مصر الآن تستطيع أن تبدى مثل هذا الإهتمام بالفكر ورجال الفكر . وبعد ذلك سعيد بالرد الذى قاله د. زكى الآن فيما يخص العرب وإن كنت أريد أن أسأله عن تاريخ ذكره : القرن السادس عشر . وأنا متأكد من أنه قرأ ما صدر عن جامعة أكسفورد وخاصة كتاب رسائل لفيلسوف بريطانى كان من أساتذة فرنسيس ليكون وهو أديلا ر أوف باص الذى كتب فى القرن الثانى عشر رسائل إلى ابن أخته فى أكسفورد يخبره فيها أنه قد ضاق ذرعاً بالطريقة التى كان يدرس بها الأساتذة فى جامعة أكسفورد فقد كانوا كما يقول د. زكى نجيب محمود يحفظون نصاً ثم

يحاولون أن يستخرجوا منه ما يستخرجون من نتائج، ولا يتحولون عن النظر في النص؛ يقدسونه ولا يرون أن هناك نصاً سواه . لقد ضاق ذرعاً بذلك فعبر فرنسا إلى طليطلة . وهناك التقى بالعلم العربي الذي كان ينتجه العرب من المسلمين والنصارى واليهود . التقى بهذا العلم العربي فوجد أن العالم فيه يحلل النص ويقبله ويرفضه مهما كان مصدره . وجد أن القارئ يبدأ بقراءة النص ، ثم يرفضه ثم يستخرج منه نصوصاً أخرى أو نتائج أخرى قد تكون مضادة للنص الأصلي .. إلخ .

وقد فتن أديلار أوف باص بهذا العلم واستهواه إلى حد أن جعله يعبر إلى المغرب وحتى إلى مصر . ورأى فيها وقابل علماء كان أهم ما يهمه من علمهم أنهم لا يقبلون نصاً مقدساً أبداً، وإنما كانوا يبدأون كما تقول الآن بالطريقة العلمية في مناقشة النص ومعارضته بسواه .. وهذا هو ما شرحته سيادتكم الآن فيما يخص تقسيمك للثقافات .. لكن ذلك بدأ في الغرب من القرن الثاني عشر ..

الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود :

إن أديلار يعتبر في تاريخ الفكر الأوربي من بشائر النهضة، أو بشير سابق على النهضة لأنه بدأ بأشياء من هذا النوع .

أما ما لاحظته عند العرب، فلا يخلو مما قلته أنا ؛ لأنه فيما يتعلق بمسألة النصوص، إذا كان لا يقبل النص إلا بعدما يقارنه بنص آخر فما

يزال هو فى دنيا النصوص. إنه لم يخرج بعد إلى الطبيعة إلى الكون!!  
فالمقابل هو أن ينظر إلى الضوء مثلاً فيصل إلى قوانينه، أو ينظر إلى  
الجمادية ويصل إلى قوانينها كما حدث فى أوربا فى عصر النهضة .  
السؤال الثالث: أ. دمراد وهبة (أستاذ الفلسفة بكلية التربية - جامعة عين شمس):

لو سمحت لى يا دكتور زكى : فى الورقة الموزعة علينا وفيها محاور  
النقاش أنتقى مسألتين ؛ النخبة والجماهير ، والفلسفة والتراث .

وفيما يختص بالنخبة والجماهير، كنتُ من حوالى عشر سنوات قد  
نظمتُ مؤتمراً دولياً فى الفلسفة عن «الفلسفة ورجل الشارع» . وأذكر  
أن سيادتكم كتبت مقالة مطولاً فى صحيفة «الأهرام» نقدت فيها هذا  
المؤتمر ، وأخت إلى أن الفلسفة قد ذبحت فى هذا المؤتمر!! وأحب أن  
أنتهز الفرصة لأطلب من سيادتكم مزيداً من التوضيح حول عملية الذبح  
هذه !؟

الأستاذ الدكتور . زكى نجيب محمود :

يا أخى أنا أنظر إلى الفلسفة نظرة جادة تعطيها حقيقتها العلمية كما  
وردت على أيدي الفلاسفة الكبار ، لأن كلمة فلسفة لسوء الحظ  
يستخدمها كل من يستخدمها ولكن لا يقصد معناها الحرفى المهني . ما  
معناها المهني !؟

معناها المهني عبر عنه أرسطو في جملة قصيرة ولكنها بعيدة المعنى جداً، وهي أنها دفع الموقف المراد تفسيره إلى علله البعيدة الأولى . لماذا قال : البعيدة!؟ لأن العلل القريبة هي مجال عمل العلم . فلو أن عندي ظاهرة ما فالخطوة الأولى في بحثي حولها هي أن أصل إلى قوانينها العلمية . ثم عندما تتراكم أمامي القوانين العلمية والعلوم ، أنظر في هذه العلوم لأحللها وأجد نقطة التلاقى بينها فأصل إلى المبدأ الفلسفي .

هذه هي الفلسفة . أما ما حدث أيام مؤتمركم فقد كتبوا أنكم أحضرتم بائع بطاطا!! هل هذا كلام!؟ إن جمهور الناس مستعد جداً لإلتقاط مثل هذا الكلام ويتصور أنه صحيح وأن هذه هي الفلسفة! هل بائع البطاطا يمكن أن يقول كلاماً مثل الذي قاله أفلاطون أو أرسطو أو ابن سينا أو ابن رشد . وهل يمكنه أن يناقش قضايا عرضها ديكارت أو هيغل!؟

هل بائع البطاطا يستطيع أن يقول كلاماً مثل هذا . كيف لكم أن «تبهدلوا» الناس بهذا الشكل! وكيف تسمحون لأنفسكم أن تجعلوا من الفلسفة وكأنها «مسحة بلاط»!!

إن الفلسفة هي الخطوة الثالثة في تدرجات المعرفة؛ فالخطوة الأولى أن تعيش الواقع بأن تعمل تاجراً أو مهندساً أو ما شابه وأن تعيش الحياة كما هي، أما الخطوة الأعلى فهي أن يحاول الإنسان بعد ذلك أن

يستقطب من هذا الواقع، واقع التجارة مثلاً فى البيع أو الشراء، يستقطب قوانينها فيتكون علم الاقتصاد. إن الخادمة فى البيت، كل خادمة فى المنزل تعرف الحرارة، تعرف أنها إذا وضعت «الحلّة» على النار فسيغلى الماء، لكن ما قانون هذا الغليان؟ إن الخطوة الثانية فوق مستوى الحياة الفعلية هى استخراج القوانين الضامة لهذه الظواهر، وهى القوانين العلمية. وإذا ما تكاملت القوانين العلمية والى جانبها الفنون والمنتجات الأدبية وغيرها، يأتى الفكر الفلسفى، يأتى الفيلسوف ليسأل: هل الواقع هو هذه الكثرة العلمية، أو أن هذه الكثرة هى الأخرى يمكن أن يضمها مبدأ واحد؟!

يبحث الفيلسوف وقد يجد هذا المبدأ. وكثيرون منهم فعلاً وجدوا هذا المبدأ من وجهة نظرهم. فارتفع من مستوى من العلوم والفنون والمنتجات الإبداعية ليضمها فى مبدأ واحد مثل مبدأ «المثل» عند أفلاطون، أو مبدأ «الصورة» عند أرسطو.. أو .. أو ... إلخ .

تلك هى الدرجات الثلاث للمعرفة، وذلك هو الفيلسوف الذى دائماً ما يكون فى القمة التى تستقطب معارف الإنسان كلها فى أى عصر من العصور فى مبدأ واحد. إن الفيلسوف هو وحده الذى يملك تلك القدرة على استخراج هذا المبدأ وعلى تطبيقه فى مختلف ميادين العلوم والفنون فى العصر الذى يعيش فيه وليس بائع البطاطا!!

استطرد من د. مراد وهبة :

بالمناسبة يا د. زكى إن المؤتمر كان عنوانه باللغة الإنجليزية  
«Philosophy and Massman» ، والترجمة الدقيقة لهذا العنوان هي  
«الفلسفة وإنسان الجماهير» ، لكنها طرحت «رجل الشارع» من باب  
الجادبية. أما إنسان الجماهير الـ Massman فهو إنتاج الثورة العلمية  
والتكنولوجية ، لأن الثورة العلمية والتكنولوجية أفرزت ظاهر الماس  
Mass منها مثلاً الماس ميديا، ماس كلشر Mass culture ، ماس سوسيتى  
Mass society . لقد وجدت أن الـ ماس مان أيضاً هو من نتاج الثورة  
العلمية والتكنولوجية لكن ليس بالمفهوم الشعبى. فالـ ماس مان اليوم لو  
لم يمثل الثورة العلمية والتكنولوجية لا يمكن أن يشارك فى العملية  
الإنتاجية التى ألحيت عليها سيادتك فى نهاية حديثك.

لقد قصدت أنه جاء الأوان لكى يصبح الـ ماس مان هو  
التكنولوجى، لكن ليس على مستوى الجماهير الأمية، بل على مستوى  
الجماهير الواعية بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية . هنا ماذا يكون  
دور الفلسفة؟! هذا ما قصدته . أما ما أحدث الإنارة فربما يكون لفظ  
«رجل الشارع». أما بائع البطاطا فانا لم أحضره بل أحضره بعض  
الصحفيين قائلين: أنت معك نصف المؤتمر وهم الفلاسفة، ونحن قد  
أتينا إليك بالنصف الثانى ألا وهو رجل الشارع، بائع البطاطا!! ومع ذلك

فحينما بدأنا نتناقش وجدت أن بائع البطاطا لا يختلف مع ما قلته سيادتك حول عجز مصر عن إنتاج العلم؛ فهنا تتساوى النخبة مع رجل الشارع!!

الأستاذ الدكتور: زكى نجيب محمود :

وأنت تسألني عن : الـ ماس مان والفلسفة، الماس مان ليس له شأن بالفلسفة. إن الفلسفة - كما تعرف سيادتك في كل تطبيقاتها عند كل فيلسوف وتغيرت الألوان وإن تغيرت اللغة والموضوعات - حفر تحت المفاهيم التي يستخدمها الناس . فالتناس عادة ما يقفون عند المفاهيم . وكذلك العلم والعلماء ؛ فكل علم يأخذ مفهوماً أساسياً يفترضه ويبنى عليه العلم؛ فالرياضة مثلاً تفترض السلسلة العددية ١ - ٢ - ٣ - ٤ فهذه السلسلة موجودة ولا يسأل عالم الرياضيات من أين جاءت؟ بل يبدأ منها باعتبارها محطة القيام بالنسبة له ويبنى عليها الرياضيات كلها. أما فيلسوف الرياضيات فيأتي ليمشى في الإتجاه المضاد. فيفكر في النقطة التي أخذها عالم الرياضة افتراضاً وبنى عليها ، ليسأل : كيف جاءت إلى العقل؟! ومن أين جاءت هذه السلسلة العددية وأصبح لها قيمة!؟

ويرد على هذه الأسئلة ويحفر ويحفر حتى يصل إلى شيء لم يعد قابلاً للتحليل من وجهة نظره . من هنا جاءت نظرية رسل عن فئة

الفئات Class of classes<sup>(٥)</sup> .

وقل هذا فى كل علم من العلوم . فالماس مان يستخدم علم وتكنولوجيا ابتداء من أنها موجودة . وبعد ذلك يدرب على حقائقها الواقعية . أما الفيلسوف فلا يعلو ليرى النتائج العملية ، وإنما ينزل ليرى جذور الشجرة أين هى؟! إنها مخفية تحت الأرض ، أما الباقي فهو ظاهر للناس الجذع والفروع والأوراق . الناس تكتفى بما يرى من الشجرة . أما الفيلسوف فيحفر ليرى الجذور . الماس مان ليس مطلوباً منه أن يحفر ويأتينا بالجذور لأنه لن يعرف، ولن يستطيع أن يفعل بها شيئاً!! أما الفيلسوف فيستطيع ولا أحد يجاربه فى ذلك لأنه هو القادر على أن يحول الفكر البشرى من عصر إلى عصر . إن العصر الفكرى يظل عصراً واحداً طالما القضية المعروضة الكبرى فى هذا العصر لم تحل بعد حتى لو ظل هذا العصر ممتداً لألف سنة . إن الذى يحلها هم الفلاسفة . وحينما يكون الزمن قد مضى وحلت هذه القضية تنشأ قضية أخرى بعد تلك .. وهكذا . من يحل هذه القضايا، من الذى يقول أنها حلت ويثير القضايا الأخرى المحتاجة إلى حل حتى يمكن أن نقلنا إلى عصر فكرى جديد . إنه الفكر الفلسفى، إنه الفيلسوف وليس «الصناعية» أو المدرسين فى المدارس!! إن هؤلاء يدرسون المادة العلمية كما هى موجودة . لكن الآخر (الفيلسوف) يحفر ليرى ينبوع الأساسى الذى صدرت عنه هذه الكثرة العلمية أو الفنية أو غيرها مما يعيشه الناس . فإذا وجد أن هذا ينبوع قد نفذ الغرض منه وأن كل هذا قد عاشه الناس ، يبدأ فى

كتاباتته ينبه الناس إلى المشكلات الجديدة التي «تلهيهم» عن تلك المشكلة التي حلت ونفدت، وحلت أو نفذت ليس معناها أنها طرحت في البحر، بل يعنى أنها أصبحت زادا ثقافياً للناس يمكن أن يبنى عليها زادا ثقافياً جديداً يكون فاتحة لعصر جديد .

إن هذه هي طبيعة مراحل الفكر البشرى ؛ نتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى عندما يبطل السؤال، أو يصبح غير ذي قيمة السؤال المطروح للحل، ولكل عصر سؤاله الأساسي ، سؤاله الرئيسي الذي تتمحور وتبلور حوله جهود العلماء والفلاسفة . إن الفيلسوف هو الذي يلملم الموجود في القاع ليبيّن لنا هل مشكلة العصر لا تزال قائمة أم أنها حلت؟! وذلك حتى يمكنه تبنيها إلى مشكلات أخرى استجدت وتحتاج إلى حل ..

نحن نأخذ معنى الفلسفة ليس من «أمخاخنا» وإنما من الممارسات التي حدثت فعلاً؛ وإذا نظرنا إلى قائمة الفلاسفة لوجدنا أنهم جميعاً اتحدوا في التكنيك الذي يمارسونه؛ وهو أن ثمة مشكلة في هذا العصر وهو يتفاعل معها ويحاول حلها . إننى كثيراً جداً ما قلت وكثيراً ما كتبت أن تدريس الفلسفة في بلدنا عقيم إلا إذا أخرجنا الطالب وهو يعلم تمام العلم لماذا قيل هذا الكلام من هذا الفيلسوف في هذا العصر!؟

يعلم أن أفلاطون قال هذا الكلام ، وأن أرسطو قال هذا الكلام ، وكذلك ديكارت أو غيره في أى عصر قال هذا الكلام ليحل به إشكالا قائما فعلاً، وقد حل هذا الإشكال القائم .

إننا حينما لا نفعل ذلك وندرس للطالب الفلسفة بالشكل الذى ندرسها به الآن سيتساءل الطالب فى أعماقه : ما هذا الكلام ؟ وماذا أفعل فى حياتى؟! ولقد سئلت أنا شخصياً هذا السؤال مئات المرات من الطلاب، ما فائدة الفلسفة؟! وحينما كنت أضيق ممن يسألنى هذا السؤال ، أقول له : فائدتها أن تنجح فى الإمتحان!!

السؤال الرابع : أ.د. أبو الوفا التفتازانى (أستاذ الفلسفة والتصوف بأداب القاهرة):

أستاذى الدكتور زكى نجيب محمود لاشك أنك كنت رائداً لحركة التنوير؛ فحينما أرجع بذاكرتى إلى عام ١٩٤٨م حينما كنت طالباً فى الفرقة الثانية بكلية الآداب - قسم الفلسفة . أتذكر أن إيمانك بالعلم وبمنهج العلم قد دفعنا فى ذلك الوقت إلى إعادة النظر فى كثير من مواقفنا الفكرية، دفعنا إلى التمييز بين أسلوب علمى وأسلوب أدبى؛ الأسلوب العلمى هو الذى يظهرنا على شىء من الأشياء أو التعبير بالمصادق<sup>(٦)</sup>، أما الأسلوب الأدبى فهو الذى يسلىنا .

كل هذا قد حفظته عنك باعتبارى تلميذاً لك، واستفدت منه فى واقع حياتى وفى أبحاثى ودراساتى التى كانت تلتزم بالمنهجية الدقيقة التى علمتنا إياها. ومرت الأيام والتقينا فى جامعة الكويت وزاملتك فى فترة الكويت. وهناك بدأت ألاحظ تحولاً طرأ على فكرك وهو التحول الذى أشار إليه د. حسن حنفي حيث كنت مشغولاً فى ذلك الوقت بإعداد كتابك عن تجديد الفكر العربى. وسرت غاية السرور بأنك قد بدأت تطبق نظرياتك المنهجية فى مجال التراث العربى. وكنت ألاحظ أن اهتمامك بهذا الأمر كان اهتماماً غير عادى. والسؤال الآن: ترى هل تظل نظرتك إلى التراث كما هى الآن بعد مرور عشرين سنة تقريباً على صدور الكتاب؟ هل لازلت تؤمن بأن التراث يمكن أن نفيد منه خصوصاً وأنى قرأت لك أيضاً فى أحد كتبك أنك معجب بمنهج المعتزلة العقلية، وقلت بالنص أننا لو أفرغنا هذا الكلام الذى قال به المعتزلة من مضامينه لبقيت الصورة العقلية التى تعتد بالعقل. فإنا أريد أن أسأل سيادتكم: هل يا ترى نظرتك إلى التراث العربى هى كما عبرت عنها فى «تجديد الفكر العربى»؟

الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود:

أنا يا دكتور تفتازانى حقيقة لم أتغير أبداً. إنما الذى تغير هو ساحة التطبيق. ففى الخمسينات أنا لم أكن أطبق لأنى ركزت على أن أبين

الطرق التحليلية التي توضح للإنسان إن كانت هذه الجملة تصلح أن تكون علمًا أم لا تصلح. وكان هذا تمهيدًا لتحليل الكثير جدًا من العبارات والجمل التي يستخدمها المسئولون في مجالات المسئولية المختلفة. فهي جمل «كلام فارغ» لا تؤدي إلى شيء!! فهي لا معنى لها!! كان هذا همى عندئذ .

وكل ما حدث بعد ذلك هو أنني طبقت هذا النوع من التحليل على التراث. وفي ذلك لم أتغير. فمثل كمثل واحد يعرف عملية العَدِّ. فهو اليوم يعد برتقالاً، وغداً يعد كمثري. إنه لم يغير إلا مجال التطبيق على ما يعده!

إن كل ما اختلفت فيه عن الآخرين فيما يتعلق بتناول التراث، وقد كتبت في ذلك الكثير من الكتب والمقالات ولم أتوقف عن ذلك أبدًا حتى تنضح الصورة، كل ما اختلفت فيه عن الآخرين هو أنني اعتبرت أن التراث يكون نقطة بدء لا نقطة نهاية. وقد جعلت هذا أحد العناوين «التراث كنقطة بدء لا نقطة نهاية»؛ يعني ينبغي أن أبدأ الخوض في المجال الثقافي الحق في هذا العصر بعد أن أكون قد أملت بما يعطيني شخصيتي العربية - المصرية - المسلمة. فهذه أخذها من التراث لأنطلق بعد ذلك من هذه الهوية المصرية - العربية المسلمة لأسير فأرى ما يسير به العصر وما يعززه!

إذن يكون التراث خطوة أولى لا بد منها ، وليس التراث ككتلة فنحن نخطئ إذا تصورنا أن التراث محدود، فهو دينا بأكملها . وكل واحد منا له اهتماماته الخاصة فى حياته العملية . وحسب هذه الإهتمامات خذ من التراث ما يفديك وما يتفق مع مجالك العملى فليس كل واحد منا مسئولاً عن التراث كله فقد درجنا فى حديثنا العادى على أن تختصر «المعقد» ونقول «التراث» وكان التراث كتاب واحد أو عشرة كتب أو حتى دولا ب كتب . أبداً.

نحن نعمل بالفلسفة مثلاً، إذن يصبح من واجبنا أن نكون على صلة بالفلاسفة المسلمين، لننظر كيف تعاملوا مع ما جاءهم من بلاد اليونان. واليونان عندئذ كانت هى أوربا . هم جاءهم من اليونان وأنا اليوم أتلقى العلوم من أمريكا وأوربا . إذن الموقف واحد. ومن ثم يجب أن أقف إزاءه مثل ما وقف ابن سينا وابن رشد؛ لقد جاءت فلسفة من اليونان فلم يرفضها ، بل أخذها وجعلها ركيزة من ركيزتين يقيم عليهما حياته العقلية . فإنا يجب أن أتأثر بالتراث فى أن أصنع صنيع هؤلاء الفلاسفة وليس فى أن أحاكيمهم ؛ أصنع صنيعهم ، أفعل مثلما فعلوا فهم قد جاءتهم فلسفة فقالوا : كيف أوفق بين الفلسفة والدين ، بين الفلسفة والشريعة؟! لقد كان هذا هو المحيط الذى عاشوا فيه .

أما أنا فقد جاءنى هذا العصر بعلوم ، فيكون موقفى المساوى لموقف السلف ، لموقف الوالد العربى القديم . يكون موقفى مساوى له تماماً حين أخذ هذا الوافد علماً وتكنولوجيا و.. وإلخ . وأسأل : كيف أوفق بين هذا وبين ما عندى من أخلاقيات الدين أو حقيقة الدين .. أو غير ذلك . ففى الواقع ، الموقف واحد فى كيف أهضم هذا الآتى من الآخر . أما كونى آخذه . فلا بد أنى سأخذه وإلا فإننى سأكون متجهماً إلى الإنتحار !! لا بد أن نأخذ ما بالعصر وإلا انتحرننا !! وكل ما على أن أطمع به الطرف الثانى الذى يجعلنى مصرياً - عربياً - مسلماً .

السؤال الخامس :

سيدى الأستاذ .. أسعد الله مساءك أولاً ومتعك بالصحة . لدى سؤال : فى الشهور القليلة الأخيرة كتب كاتب أمريكى من أصل يابانى اسمه فرنسيس فوكوياما مقالاً أسماه نهاية التاريخ . وبعد ذلك نشر هذا المقال فى كتاب كبير يحمل نفس العنوان . فى هذا المقال أستشهد بسقوط الشيوعية ثم سقوط الإتحاد السوفيتى كدولة كبرى على أن هذا هو نهاية التاريخ كما نعرفه . وأن الصراع بين الحضارات قد حسم بصورة نهائية لصالح الغرب الذى تمثله الرأسمالية والديمقراطية والحرية وهى العناصر الثلاثة التى تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة .

قد لا يهمنا كثيراً إن كان هذا هو نهاية التاريخ أو بداية لتاريخ جديد. وإنما الذى يهمنا هو أنه أشار إلى الإسلام فى إطار حديثه عن صراع الحضارات . وقال إن الدول الإسلامية أو الفكر الإسلامى تأخر وهو فى حالة صراع دائم مع الحضارة الغربية . وقد مر بتجارب ثلاث ؛ الأولى فى عهد الدولة العثمانية وفشلت . والثانية فى المشروع المصرى القومى فى الخمسينات وفشلت هى الأخرى . والآن يمر بتجربة ثالثة هى تجربة الدولة الإسلامية فى إيران ومآلها أيضاً - كما قال هو - إلى الفشل لأنها فى النهاية ستتحول إلى فكر شبه فاشيستى أو فكر دينى متعصب . وهو يقول بعد ذلك : أن على الدول الإسلامية أن تفكر إما أن تلحق بركب الحضارة الغربية أو أن تسقط !

وأسأل سيادتكم : هل نحن فعلاً بإزاء نهاية للتاريخ كما نعرفه !! نهاية تحسم الصراع الحضارى تماماً لصالح الحضارة الغربية ؟ وهل لدينا ما نستطيع أن نقف به أمام الحضارة الغربية بما نمازج فيه بين التراث وبين المعاصرة ؟

الأستاذ الدكتور : زكى نجيب محمود :

الحقيقة التى أود أن أبدأ بها الرد على سؤالك هى أنه لا يعجبني أبداً أن نقف موقف العدو، لنقول نحن وهم . هم من ؟! هم أصحاب العصر وأنا صاحب العصر أيضاً !! إن اللحظة التى نقول فيها نحن

وهم أكون قد أخرجت نفسى من العصر قبل أن تخرجنى الظروف من الحياة ..

وأود أن أؤكد على نقطتين :

١ - لا بد أن يستقر فى عقولنا تمامًا أن هذا العصر عصرنا كما هو عصرهم فليس من الطبيعى أن يملكوه وأظل أنا واقف عند الباب!

٢ - أما عن مسألة نهاية التاريخ ودور الإسلام وهل يمكن أن ينهض . فأنا أقول بمتهى الصراحة أنه إذا كانت العقلية السائدة للإسلام (يقصد الفهم الخاطى للإسلام كما يسود عند كثيرين الآن فى العالم الإسلامى) هى ما هى وستدوم، فلا أمل! إنما إذا نُظر إلى الإسلام من حيث هو عقيدة قبل أن ينظر إليه من حيث هو شريعة ، فإن العقيدة الإسلامية وصلت إلى أرقى ما يرقى إليه العقل البشرى من حيث الهدف وهو «التوحيد» .

التوحيد لا بد أن أفهمه حق الفهم لكى أرى كيف ستتولد منه المعانى التى تجعله أصلح فكرة لتدوم إلى الأبد ، إلى أبد الآبدين حتى إذا كانت ملايين السنين .

التوحيد لكى أفهمه هو توحيد الله أى جعله واحداً، هذا صحيح . ولكن لا بد أن نضيف إلى الواحدية الأحادية أيضاً . فالله واحد أحد «قل هو الله أحد» . فهناك اختلاف فى المعنى : الأحادية .. هذا الواحد

الذى لا ثانى له، ليس فى جوهره صراع بين اتجاهات مختلفة . هنا نجد الإنسجام فى المضمون .

وفكرة الواحدة والأحادية يستعملها مفكرون كثيرون جداً فى الغرب ويجعلون منها شرطاً للهوية ، فإذا كان لك واحدية وأحادية و Unity and continiuity تكون موحدًا فى اللحظة المعينة، على أن هذا التوحيد فى اللحظة المعينة يظل مستمرًا معك إلى آخر الحياة . فإذا ظفرت بهذين الأمرين (واحدًا ودائم التوحيد) إلى أن تموت تكون قد فهمت هويتك جيداً .

وهذا بالنسبة لعقيدتنا أيضاً، فالواحدة والآحادية لله سبحانه وتعالى مفهومه فهو واحد وهو أحد فى تكوينه إذا كان له تكوين أستغفر الله . إن الله والى أبد الأبدين Unity and continiuity . فالهوية إذا صح التعبير لا تتغير فى هذه الحالة . أما بالنسبة للإنسان فإنه هو الذى سيعتقد فى التوحيد . وعقيدته فى التوحيد فى نظرى هى الترمومتر الذى يقاس به مدى إيمانه؛ كم من معنى التوحيد استطاع أن يعيشه؟! فأنت تقول «أشهد أن لا إله إلا الله» . هذه الشهادة يكون لها معناها فقط إذا استطعت أن تعيشها أنت .

إن عقيدة التوحيد تستوجب من المعتقد أن يوحد نفسه ، يعنى أن يزيل منها الصراعات ؛ فأنا كإنسان عندى غرائز وعنذى عقل، الغرائز

تريد أشياء معينة، والعقل يريد أشياء أخرى. وسيحدث الصراع بين مطالب العقل ومطالب الغريزة ما لم تنجح في إزالته وما لم توحد بين عقلك وغرائزك. لا أقول تقتلع الغرائز بل انظر كيف تسير نحو هدف بفكرة العقل. بهذا تتوحد أنت، وتفهم ماذا يعنى قولك أشهد بأن الله واحد أحد.

ففى الحياة الثقافية ستجد التوحيد أمامك فى كل خطوة تخطوها وأنت تفهم حياتك العملية وحياتك الفنية وحياتك الأدبية .. إلخ. إنه بمقدار ما استطعت أن تعيش التوحيد الموحد فى نفسك وفهمته على أرض الحياة وعلى الحياة الفعلية عندك ستجد الفنون، كل الفنون عن بكرة أبيها لن يفهمها فاهم حق الفهم إلا إذا رأى فيها التوحيد. يعنى اللوحة لا بد أن أرى فيها توحيد؛ فاللوحة فيها خطوط وألوان وفراغات وامتلاء .. إلخ ما الذى يجعلها صورة واحدة؟!

لا بد أن أدرب فنيًا على أن أدرك أين تكون الوحدة التى هو «الفورم Form» أى الشكل الفنى، وهذا هو الشكل الفنى.

إن المسلم لو كان مسلمًا حقًا بمعنى عاش عقيدته ولم يكتف بنطقها، فالنطق بإمكان البغبان، فالبغبان قادر على أن يحفظ أشهد أن لا إله إلا الله. فهل معنى ذلك أنه أصبح مسلمًا!!

إن المسلم ينبغي أن يعيش عقيدته فى دنى الفن ، دنى الأدب، دنى السياسة دنى الوطنية؛ فعندما نقول الأمة، الأمة واحدة نحن لا نعيش ذلك وكل منافى صراع مع الآخرين مع أننا أولى الناس بأن تتوحد ، توحد الأمة. فلولا ذلك ما سميت أمة. إننا أبناء أسرة واحدة لكننى يجب أن أعيش هذه الحقيقة وأن لا يقلت منى المعنى العميق الذى أنا مسلم به.

إذن فحينما نقول : الإسلام اى إسلام ا فالإسلام الحقيقى هو كما أقول أنا. وليس الكلمة التى تقال بطرف اللسان . وإنما الكلمة التى أقولها لتجرى فى شرايىنى وتكون كيانى وعند ذلك ساكون شخصاً آخرًا بالمرّة .

فالإسلام كان يمكن أن يكون فيه الأمل - رداً على هذا الأمريكى - اليابانى - فى حمل الحضارة فى مرحلتها الآتية لو كان إسلاماً بالمعنى الحقيقى.

لكن هذا إسلام ، ذلك الإسلام الذى يصلى فيه المرء باللسان دون أن يتوقف المصلى عند كلمة واحدة مما يقوله!؟

خذ مثلاً : الله أكبر، نحن نكررها آلاف المرات فى اليوم الواحد. إفهم معناها وأنت تجد نفسك فى دنيا أخرى. دنيا أخرى عند تقديرك للأشياء والأشخاص.. إنك حينما تعرف المعنى المقصود من «الله أكبر»

ستعرف أن هذه الأشياء زائلة، الأفراد زائلون .. كل زائل لا يدوم، هو فى مرحلة بين الوجود والعدم. فكل شىء موجود معدوم فى وقت واحد. لكن الموجود الحقيقى هو الذى لا يعدم. هو الله تعالى، هو الله أكبر. تعلق بهذا المعنى، تعلق بما يدوم وانظر كيف ستغير حياتك؟

إن المهم فى الحياة هو ما يدوم، فما هو الذى يدوم، هل هو المال؟ هل حدث ذلك فى التاريخ كله! المعنى كتاب تاريخ واحد يقع عليه الإنسان ويجد فيه أن مؤرخاً قال بأن أحد الخالدين كان خلوده بسبب ما يملكه من مال!! وبالطبع أنا لا أملك تفسيراً لسرعة ظاهرة زوال أصحاب المال! لكننى أعتقد أن الإنسان لا بد أن يبحث عما يدوم. والإنسان تدوم حقيقته فى الوجود بقدر ما فعله مما يدوم؛ أنتج ما يدوم، أنجب أبناء والأبناء أنجبوا أبناء وإذا كانوا من الأبناء الصالحين يكون الإنسان قد ترك شيئاً يدوم.. إلخ.

إننى أتخفظ على القول بأن الإسلام يصلح أو لا يصلح إلا بعد أن نفهم ماذا نعنى به؟ أنا أعتقد عقيدة قد أكون مخطئ فيها ألا وهى أنه لا يجب أن نعتبر أن الأساس فى بناء الإسلام للحضارة هو الشريعة؛ فالإسلام كما يقال عقيدة وشريعة. والشريعة فرعان: العبادات والمعاملات بمعنى أننى سأعبد الله وأتعامل مع الناس وفق ما يطلب منى. ولكن ليس هذا هو الجوهر. وليس هذا هو الذى تقام عليه الحضارة

الجديدة. إذ ما دخل الحضارة الجديدة في من تزوج واحدة أو تزوج أربعة؟ ما دخل الحضارة الجديدة في أن الصلاة ركعتان في الصباح، وأربع ركعات للظهر؟ الحضارة لا دخل لها بذلك. فهذه ضرورات شعائرية على المسلم القيام بها دون أن يكون لها تأثير في مسألة الدوام الحضارى!!

لكن الذى له تأثير حقاً فى الدوام الحضارى هو العقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد. هذا هو ردى على ذلك اليابانى. وفى نفس الوقت فإني يانس من أن يحمل العالم الإسلامى عبء الحضارة الجديدة! فمن يقولون: دولة إسلامية مثلاً لا يفهمون ماذا يقولون! كيف تكون الدولة الإسلامية؟ ما معناها؟

فلنرجع مرة أخرى للكلام العملى: إن الإنسان كان فى القرون السابقة كلها يظن أنه من حيث الصواب والخطأ هناك ثلاث حالات؛ فحينما تقول جملة معينة فهى إما صحيحة وإما خاطئة، وإما لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة.

هذه هى الحالات الثلاث المعروفة منذ منطق أرسطو. لكن أضيف إليهم حديثاً، فى التحليل اللغوى حالة رابعة هى «لا معنى لها»؛ لأنه إذا كانت العبارة صحيحة أو غير صحيحة أو لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة. إذا كانت واحدة من هذه الحالات الثلاث فهى عبارة يشترط

أن يكون هناك معنى تشير إليه في دنيا الواقع إما موجود فعلاً أو موجود افتراضاً. هذه الحالات الثلاث ممكنة لأنهم قائمين على أساس الوجود الفعلي أو الوجود المفترض الذى يمكن أن يكون. أما إذا كان هناك فى تركيبة أخرى لا يمكن التيقن منها منطقياً ولا إجرائياً. فهذه تكون داخله ضمن الحالة الرابعة التى غفل عنها الناس طيلة عشرين قرناً من التفكير المنطقى...

كثيرون جداً من الناس يتكلمون فى مجردات ويظن أنه يتكلم فى واقع، وهو يتكلم فى هواء، فى دخان بعبارات من النوع الرابع، تلك التى لا نستطيع أن نقول: هل هى صحيحة؟! لا. هل هى خطأ!! لا. لا نستطيع أن نعرف. ولذلك فهو كلام «رغى»!! «رغى فقط»!!

فالذين يقولون إن الإسلام دولة أرجو أن يقولوا لى كيف توصف الدولة بالإسلام؟! الإسلام عقيدة. أعتقد أنا أن الله واحد. أما الدولة: فهل تعتقد أن الله واحد؟! كيف تحقق الشروط الأساسية والأركان الأربعة للإسلام فى دولة؟! هذه أشياء لا يعملها إلا الفرد. ولذلك يُحاسب عليها ويفهم معناها على أساس أن فرداً يؤديها! ولذلك فالمسلم فرد. فحينما قلت أشهد أن لا إله إلا الله قلتها بضمير المتكلم المفرد وليس الجمع. وهذا مما يدل - كما قلت أنا فى موضع ما - أنه ابتداء من أول طرف، فى أول كلمة، فى أول ركن من أركان الإسلام شهادة بأن المسئول هو فرد؛ أشهد أنا حتى لو لم تشهد الدنيا بأسرها!

إن هذه كلها دلالات على أن المحور في العقيدة الإسلامية هو الفرد.. الفرد هو الذى يعتقد.. الفرد هو الذى يسلم أو لا يسلم وليس الدولة.. أين هى الدولة التى تكون مسلمة أو غير مسلمة؟ كيف تشهد أن لا إله إلا الله، وتصوم وتحج.. إلخ. كيف تفعل ذلك كدولة، أين طريقة ذلك وما معناها؟!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كلمة «دولة» نفسها من دال يدول يزول!! خذ الإسلام نفسه من أول ما نشأ إلى الآن.. وانظر كم نوع من أنواع الحكومات، وكم دولة. فهذا يكون خليفة، وذاك يصبح ملكا، هذا يكون سلطانا وذاك أمير، وآخر رئيس جمهورية.. كلها يقال عنها أنها دول إسلامية. من فيهم التى يمكن أن أقول عنها أنها مسلمة؟! إنها جميعا دول ويتمثل فيها أنواع مختلفة من الحكومات. وأنا «أستغرب» حقيقة؛ هؤلاء يقولون ما يقولون لأنه ربما يكون وجودهم مرهون بهذا الذى يقولون، ومكسبهم المالى.. إلخ، هم يقولون كلاما كثيرا جدا لأنهم يحصلون على المقابل المادى «الماهيات»!! ولا أكثر من ذلك!! والا إذا كان أحدهم يتكلم وهو مسئول حقا عما يقول مسئولية خلقية فيجب عليه أن يسأل بدقة: هل هذا الكلام الذى يقوله له معنى؟! يقول: دولة أسلمت!! أى دولة هذه؟! وما معنى الدولة؟!

إن الدولة مجموعة أشخاص ليسوا معينين بالاسم. وكل واحد من هؤلاء الأشخاص يأتي ويذهب وتبقى الدولة. الدولة كوب فارغ ينتظر مرة أن يملأ بالماء، ومرة باخل. وهكذا!! الدولة شبكة علاقات بين أطراف، والأطراف هم الأفراد، والأفراد تتغير وتبقى الدولة كنظام علاقي، علاقات تربط بين هؤلاء الأطراف. هذه هي الدولة. إنها ليست شخصاً يجلس على القهوة ويشرب الشاي!! ..

السؤال السادس: د. قدرية إسماعيل (أستاذ الفلسفة بتربية عين شمس) :

أستاذنا الكبير د. زكي نجيب محمود جاء في حديث سيادتكم أنا حفظة علم ولسنا بمنتجى علم وكان هذا الحديث مركزاً على تشخيص حال مصر. وسؤالى الآن: لماذا نحن حفظة علم وعاجزون عن صناعته؟! وتعلم سيادتكم أن من يمتلك العلم والتكنولوجيا يستطيع أن يسيطر على مصير البشرية، فهل عدم قدرتنا على صناعة العلم يرتبط بنسق القيم الذى تعيشه مصر، أم بظروف الحياة اليومية، أم بالنظام السياسى القائم أم أن الأمر يتعلق بنسق الثقافة، التقاليد والتراث أم ماذا؟! كيف يمكن أن نفسر ونحلل ذلك؟! وشكراً.

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

إن القرون الثلاثة التى سميتها القرون الوسطى بالنسبة لنا، السادس

عشر، السابع عشر والثامن عشر، فقدت مصر فيها طاقتها الإبداعية أيام الحكم التركي، لدرجة أنهم أفرغوا مصر حتى من عمالها الفنيين!! فقدت مصر طاقتها الإبداعية وأصبحت تحفظ العلم حفظاً، وجاءت أوروبا وطرقت علينا الأبواب أول القرن التاسع عشر ودخلت وذهبت. ولكن جاء محمد على ليستمر في نفس الطريق.. اضطربنا أمام العلوم التي جاءت مع نابليون أن نقبل العلوم وأقمنا من أجل ذلك المدارس ابتداء من عصر محمد على. وبعد ذلك أقمنا المعاهد والجامعات لأننا أدركنا أن هذه العلوم لا بد أن نعرف وتعلم ولم تكن معلومة لنا من قبل، فوجدنا أنفسنا أمام علوم جاهزة تأتينا في كتب من الخارج.

هذا بند، أما البند الآخر، فقد وجدنا أنفسنا أمام منهج علمي انتقل إلينا من تلك القرون الثلاثة الحافظة، هذه القرون أثرت وخطت حاجز التدخل الأوربي بعلمه، فأصبح كل واحد فينا يحفظ علمه ولا يبدع فيه. أريد القول أن منهج الإبداع لدينا كان معطلاً، والموجود بدلاً منه كان منهج الحفظ؛ فالطالب يحفظ الطب، كما يحفظ طالب الأدب الشعر، كما يحفظ أى طالب دارس مادته حفظاً. وفي النهاية يحصل على الشهادة ويصبح هو نفسه معلماً حافظاً.. إلخ.

نحن نريد الإبداع، لكن للإبداع منهجه. إننا نفرغ المادة من منهجها في التعليم فنأخذها كمادة بديل ما يباع في السوق من كتب، إنها

كتب تحول المادة العلمية إلى نقاط ١، ٢، ٣، ٤. والمدرس  
الخصوصى يحفظ الطالب النقاط. وهذه النقاط ليس فيه أى منهج،  
فالمنهج كان يمكن أن يتضح من السياق الموجود فى الكتاب المفصل لو  
أن الطالب كان يقرأه!!

الطالب يحفظ هذه النقاط بلا رابط بينها، ويضع هذه النقاط فى  
ورقة الإجابة فى الامتحان ويحصل على الدرجة كاملة!! إن هذه الصور  
الهزلية موجودة فى حياتنا فى أعلى ذراها فى الجامعة!!

نحن طبعاً نريد أن نأخذ المسألة كاملة وليس هناك داع لأن نتملق  
أنفسنا، فالحكاية «شوية مذكرات» من قبل الأستاذ، و«شوية خريشة» من  
قبل الطالب يضع فيها أى شىء، والله أعلم المصحح يقرأ هذا أم لا؟  
إذن من أين أخذ الطالب المادة العملية؟! فضلاً عن من أين يأخذ  
المنهج؟! ولأضرب المثل بنفسى، أنا أستاذ فلسفة، وأنا أقول أنه لا يصح  
أن يتخرج طالب الفلسفة ولا يعرف منهج الفكر الفلسفى! فالفكر  
الفلسفى منهج مستقل، وهو ذلك المنهج الذى قال به أرسطو، المنهج  
الذى أصل به إلى العلل البعيدة وليس العلل القريبة، فالعلل القريبة  
تصنع العلم، لكن العلل البعيدة تعمل على اكتشاف وحدة المعرفة،  
كيف؟! بالتحليل، فبالتحليل أصل إلى نقطة التلاقى.

ما لم يخرج طالب الفلسفة وقد درب أو لاحظ أو عرف أو تذوق المنهج الذى استخدمه الفيلسوف، وهو منهج مبثوث فى كل فلسفة صنعها فيلسوف! فمحاورات أفلاطون، كتابات أرسطو وغيرهما من الفلاسفة، كل كتاب كتبه فيلسوف فيه هذا الرد Reduction، رد الكثرة إلى وحدة، إلى واحدة، والواحدية فى نهاية الأمر ليست الواحدية العلمية، لأن هناك ما فوق الواحدية العلمية.. وهكذا يكون التعليل، التعليل<sup>(\*)</sup>، إن المنهج العلمى لم يدخل قلوبنا ولا عقولنا بعد، نحن نحفظ. كلنا حفاظ، نأخذ الدرجات على الحفظ ونصبح أكبر أساتذة فى الدنيا! إذن ما ينقصنا بعد تعليم المادة، أن يتدرب الطالب على استخراج المنهج. والمنهج موجود فى أى كتاب علمى حتى إن كان فى التاريخ أو فى الجغرافيا أو فى النقد الأدبى... إلخ. إذ ستجد تسلسلا يبين أن هناك انتقالا منطقيا من درجة إلى درجة وعلى المتعلم أن يلتقط ذلك.

وبالنسبة للفلسفة، أنا أقول واثقا مما أقول أنه لو نسى الطالب كل ما درسه من أقوال الفلاسفة، فإنه لم يخسر شيئا إذا خرج بمكسب واحد، وهو اكتساب منهج الفكر الفلسفى، المنهج الذى رآه مجسدا فيما درسه.

(\*) يقصد تعليل الظاهرة التى كانت موضع السؤال، تعليل ظاهرة عجزنا عن إنتاج العلم.

هذا هو التعليل لظاهرة تخلفنا، التعليل أنه لم يدخل عقولنا المنهج العلمي إطلاقاً. كلنا يحفظ على غرار ما حفظ علماء الأزهر الكتب التي بين أيديهم فأصبحوا علماء بهذا الحفظ!!

السؤال السابع:

هناك سؤالان؛ الأول أن الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود قال أن الفلسفة تدور في كل عصر حول سؤال. وهو فيلسوف العصر وتحدث إلينا عن فترات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات. فهل يستطيع الأستاذ الدكتور زكي أن يبلور لنا كمحين للحكمة ما هو السؤال الذي شغله من وجهة نظره وكشاهد على العصر؛ ما هو السؤال الذي كان يدور في ذهنه أو بين معاصريه في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات... إلخ.

أما السؤال الثاني، فقد حدثنا د. زكي عن عصر النهضة في أوروبا وعن قرون ثلاثة تخلفنا فيها. وكنا نتصور مع رواد الفكر في مصر المعاصرة أننا في تلك الحقبة في بداية عصر نهضة مصرى - عربى - إسلامى، فإذا بنا كما قلتم نتكس إلى منهج الحفظ وليس إلى منهج الإبداع. فما المخرج 11؟

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

بالنسبة للسؤال الأول تسألنى عن السؤال المطروح للعصر كله. وهذه مسألة تحليل وقد نختلف فى تحليلاتنا. ولكن حسبما أرى أنا، فالسؤال يتعلق بالمصير، ما هو المصير؟ وهذا مرتبط بفكرة «التقدم» بالمعنى الإصطلاحى.

فنحن لكى نأخذ بفكرة التقدم كما يراد لها أن تكون، لابد أن نمثلئ بالإيمان بأن الحاضر أفضل من الماضى، وأن المستقبل سيكون أفضل من الحاضر والماضى معاً. لابد أن تكون عندى هذه العقيدة لأن الإنسان ظن لقرون طويلة مضت أن الماضى هو العصر الذهبى وكل ما جاء بعد ذلك انحداراً والذى يقول هذا الكلام لا يمكن أن يتقدم. فعصرنا هذا عصر فكرة التقدم أولاً، أى عصر الاهتمام بالمصير وليس الاهتمام بالماضى. إن سؤال العصر هو كيف أسرع إلى المصير؟ ما هو المصير وكيف أسرع إليه؟

وهذه مسألة حينما تدقق فيها تجد أنها محور نشاط الدول النشيطة الغنية فى أوروبا وأمريكا. وذلك لأن كل فرد فيها يريد أن يقهر الطبيعة بالتكنولوجيا التى صنعها. وهو يسيطر على الطبيعة لكى يكون حراً ففكرة الحرية فى عصرنا مرتبطة ارتباطاً شديداً جداً بأن أعرف قوانين الطبيعة.

نحن وقفنا في فهمنا للحرية عند حد أننا طردنا المستعمر لا. إن طرد  
المستعمر تحرر وليس حرية. لقد تحررت من القيد، القيد الذى أحاط  
برجلي تخلصت منه لكننى لازلت أقف فى مكانى. إلى أين أتجه لا  
أدرى!؟

إن هذا هو ما حدث فى كل البلاد التى استقلت، لقد أخذت كل  
البلاد الإفريقية التى كانت مستعمرة استقلالها، ومع ذلك فهى لا تزال  
عبدة لمن كان يستعمرها، لماذا؟! لأنه هو الذى لديه المعرفة والعلم.  
ونحن ليس لدينا.. نحن «نشحت» منه؛ اعطى دبابات وطائرات، من  
فضلك اعطى ثلاجات وأيضاً اعطى الكتب والورق. إن الغرب لو  
أمسك عنا الورق فماذا نحن فاعلون؟! لن يكون هناك لا تعليم ولا  
جرائد ولا صحافة ولا غيره!! حتى أننا حينما نريد تصنيع الورق. فمعامل  
تصنيعه نأخذها منهم!!

إنهم يبدعون الحياة. ونحن نسأل الصدقة وأحياناً نحصل عليها أو  
يرفضون اعطاءها لنا!! فكيف إذن أكون حراً. إن الفكرة الأساسية  
مرتبطة ببعضها؛ إيمان بالتقدم فاهتمام بالمصير، وحرية فنظرة إلى  
الماضى جديدة تعتبر الماضى كما أقول نقطة بدء وليس نقطة نهاية.

أما عن سؤالك الثانى حول دخولنا عصر النهضة. نحن دخلنا فعلاً  
لكن هناك معوقات. فنحن بدأنا النهضة حقيقة من أيام محمد على

طالما فتحنا الباب لأوروبا وأرسلنا البعثات وقبلنا فكرة العلم. لكن ما حدث أننا لم نكمل التصور، لم نكمل الاهتمام بمنهج العلم. لقد مر قرنان من الزمان. والتقدم لا يزال بطيئاً ولازلنا بلد متخلف. مازلنا بلد في العالم الثالث! فماذا حدث وما هو الذى تسبب فى «تعطينا»؟!

إنى اعتقد - ورزقى على الله - أن ما عطلنا وجود عوائق من أهمها أن الماضى ما يزال يشد كثرة الجماهير، لأن كثرة الجماهير لا يسيرها أنا أو أنت. إن الجماهير تأخذ معرفتها عن أناس آخرين لهم ثقافة تجد قبولاً عند الريفى وعند العامل وعند الرجل البسيط عموماً. إنها الثقافة الدينية، والذين «على عينا وراسنا» لكن حينما أفهمه على أنه قوة دافعة ولا أفهمه على أنه مجرد جلسة تفسير قرآن!

لأنه ينبغى أن أسأل وماذا بعد التفسير، إنى لا بد أن أكمل هذا الذى فسرتة بخطوة تنفيذ. بخطوات عمل!! لكنى أتغنى به. وماذا ينفعنى إذا ظللت أتغنى بالقرآن؟! وماذا ينفعلك إذا ظللت تتغنى به؟! المهم أن تعمل به، أن تدخله فى دنيا التنفيذ. خذ المبادئ منه وانطلق منها إلى الدنيا لتعيشها. نحن لا نفعل ذلك تأخذ القرآن ونحن قاعدون فى مكاننا بالمعنى المرضى. نحن قاعدون جميعاً نسمع تفسير القرآن!!

والجماهير يحركها هؤلاء الحفظة، ولا أحد يعطيهم بصيصاً من النور، لا أحد يقول لهم أن القرآن نزل لكى يخطط لك كيف تفعل وليس

لتحفظ تفسيره!! فماذا أفعل بالتفسير إذا حفظته «وسكت» عند هذا الحد!!

إن الطبيب (الحكيم) إذا أعطاني «روشعة» علاج، فهل أحفظها وأحتفظ بها وأنام أم أذهب إلى الصيدلية وأحضر ما فيها وأعمل به! هناك نوعان من الثقافة من حيث الحركة والسكون؛ هناك ثقافة تحرك وهناك ثقافة سكون، ونوع اللغة ونوع التفكير يختلف في الحالتين.

نحن لسوء الحظ أميل إلى ثقافة السكون، فالجماهير ومن يعلمهم ومن يسمعونهم أصواتهم، كل يسمع ويُعجب بالذى يسمعه، لكن لا يعرف ما الذى يستفيدة عمليا منه!! إذن لا توجد حركة...

إننا لو أدخلنا الحركة مثلما فعل الصهاينة فى اليهودية! ما الفرق بيننا وبينهم، إنهم قلبوا المسألة؛ جعلوا العقيدة الدينية هى المفتاح، جعلوها أداة تحريك ونجحوا فى ذلك بنجاحًا كبيرًا. إذن لماذا لا نفعل نحن ذلك أيضًا فنجعل العقيدة الدينية دافعة إلى الحركة وإلى الفعل!!؟

إننا لم نفعل ذلك، ولذلك تعطلت النهضة لأن الكتلة الجماهيرية ثابتة! ولو أننا عدنا إلى الوراثة مائة سنة سنجد أن أولئك الذين تعجب بهم الآن كانوا سيكونون هم أنفسهم لو عاشوا سنة ١٨٩٠. الجماهير كانت ستعجب بهم أيامها بنفس الدرجة مما يدل على أن هذا النوع من التشقيف ليس هو الذى يحرك. وقد وقعنا فى فخه فعلاً!! لأننا حينما

دخلت الحضارة والثقافة الأوروبية مع نابليون أولاً، ثم بالتعليم والبعثات وغيره بعد ذلك. انقسمنا ثقافياً ولا نزال إلى ثلاث جماعات؛ جماعة كبيرة جداً هي التي أشرت إليها أنفاً وهي التي لا تريد أن تتحرك. تكتفى بحفظ العلم محفوظات يمكن يسمعهها من الألف إلى الياء في الإذاعة أو في التليفزيون، لكن بماذا يجدى الحفظ؟! ماذا أفعل به!؟

هذه كتلة كبيرة جداً ترفض منهج العلم وهي تتصور أنها تملكه والحقيقة هي ما قلت. أما الطرف المقابل فهو لحسن الحظ قليل العدد جداً، وهو ذلك الطرف الذي يظن أن الأفضل أن آخذ أوروبا والعلم الأوروبي كما هو. فطالما أنها نجحت ينبغي أن آخذها!! لكن كوني أكون إنجليزى مع الإنجليز. ماذا يعنى ذلك!؟ أضفت إلى الإنجليز واحداً ولم أعد أنا.

إنما العمالقة من مفكرينا وهم الرواد الحقيقيون، هم الذين اجتهدوا في أن يقفوا موقفاً وسطاً يضم الإثنين معاً؛ يضع الواحد منهم ما نسميه نحن التراث أو الروح العربية - الإسلامية مع ديناميكية الحركة من منهجية الفكر الغربى. وهؤلاء هم الذين سيعيشون. ورغم أن عددهم ليس كبيراً إلا أن تأثيرهم والحمد لله نرجو أن يكون أقوى.

وإذا كان هناك أمل فى نهضة فستكون عن طريق هؤلاء.

لو أنك حللت الجامعات المصرية من أول ما نشأت حتى الآن لتأخذ فكرة عن التطور الذى عشناه وكيف حدث؟! ستجد أن الجزء الأول من العشرينات والثلاثينيات كانت الجامعة فاتحة أبوابها على أوروبا، وكانت تجلب أساتذة من أوروبا، وكذلك الكتب والمراجع... إلخ. كان كل ذلك لا بد أن ندرسه ولا بد أن نعرفه.. كان الانفتاح علمى وعقلى إلى آخر المدى...

السؤال الثامن : مداخلة من الأستاذ عبدالفتاح السيد :

لى تعليق بسيط يا أستاذنا، ألا تعتقد معى أن سياسة التتريك التى اتبعت فى أواخر الدولة العثمانية أحدثت هوة سحيقة بين الإنسان العربى وبين تاريخه ولغته. وأصبح الإنسان العربى كالشجرة التى تقتلع من جذورها فتصبح فى مهب الريح. وهذا هو حال الإنسان العربى هذا اليوم. وقد حاول الأدباء، حاولوا ولكن للأسف كانت محاولاتهم دون جدوى فى أن تعيد هذا الإنسان إلى سابق عهده وتغلق تلك الفجوة بينه وبين تاريخه ولغته.

وأعتقد أنا أن القرآن الكريم الآن هو السبيل الوحيد لهذا لأن رب العالمين قال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». فالإنسان العربى لا يستطيع أن يرجع إلى لغته الحقيقية إلا عن طريق القرآن. والآن لغتنا فيها

خليط من الألفاظ التركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية.. إلخ. نستعملها في ممارستنا اليومية.

واعتقد أن الاستعمار الغربى بعد الخلافة العثمانية جعل من هذه الهوة فجوة كبيرة جداً بحيث فصل الإنسان العربى فصلاً كلياً عن تاريخه وعن لغته. فاعتقد أن الاستعمار عميل الوطن العربى الآن هو من أشبع أنواع الاستعمار لأنه استعمار ثقافى وسياسى واقتصادى وفكرى. نحن نعانى من جميع أنواع الاستعمار وهذا للأسف لم يحدث من قبل لأمة من الأمم، حتى اليابان حينما احتلت من قبل الجيوش الأمريكية، بقى اليابانى مرتبط بترائه وتاريخه ولغته. سيادتكم ذكرت التراث، والتراث هو الأساس فى حياة الأمم. خذ مثلاً بالجلترا، إنجلترا إلى اليوم تسير على اليسار لأنه من التراث. فقد كان الإنسان الإنجليزي إذا ركب الحصان يركبه من جهة اليسار. والى اليوم يسرون على هذا التراث. إن ذلك اعتزاز بالتراث. والتراث هو أساس حياة الأمم.

وأرجو أن أطرح تساؤلاً آخر هو أن نابليون حينما دخل مصر جمع من الثقافة المصرية القديمة الكثير. ولكننى أعتقد أنه لما جمع علماء الأزهر استطاع أن يستبطن منهم القانون المدنى الذى شرع فى فرنسا. والذى نستمد منه الآن تشريعاتنا وأنظمتنا القانونية. لقد أردت أن أثير هاتين النقطتين أمام أستاذنا.. وأرجو ألا أكون قد أطلت. وشكراً...

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

الحقيقة أنى لا آخذ بما تأخذ به أنت فى أننا تركنا التراث؛ فنحن لم نتركه ولم نحسن فهمه على السواء. كيف نقول تركناه؟! والفلاح وكذلك أى واحد من هذه الجماهير العريضة البسيطة لا تعرف إلا بعض التقاليد تعيش عليها. ويؤكد لهم على هذه التقاليد رجال الدين. فالتراث قائم، قائم عن غير فهم يودى إلى استغلاله فى الحركة (حركة المجتمع). هذا ما أقوله وأنا لا أرفض المادة التراثية وإنما أجعلها نقطة بدء لكى أتحرّك بها فى ظروف جديدة استحدثها العصر.

السؤال التاسع:

لو سمحت أستاذى الفاضل د. زكى نجيب محمود، حضرتك ذكرت فى أكثر من كتاب من كتبك أن الفكر لم يستطع التعبير عن مشاكل المجتمع وظواهر التغير الموجودة فيه مثل الأدب، وهذا لإنعدام النقد أو لأن النقد فى ميدان الفكر كان ضعيفاً بدليل أن الأدب ارتفع واستطاع التعبير السليم عن قضايا المجتمع، وانتقل من اخلية إلى العالمية بينما الفكر لا يزال فى محوره لأن النقد فيه لم يكن على مستوى المسئولية. هل مازلنا نعيش فى عصر اللانقد بالنسبة للفكر؟! وهل المعارك الفكرية التى خضتها حضرتك كانت موضوعية أم أن هناك بواعث ذاتية وشخصية دخلت فى النقد نفسه!؟

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

إن ما قلتيه أنا فعلاً قلته : قلت أننا فى مجال الأدب والفن قد أنتجنا شيئاً «يمكن أن نقابل به الله تعالى يوم الحساب» . فلدينا شعراء وروائيون وقصة... إلخ. وكذلك فى الفن لدينا درجة مشرفة من الفن. تشكيلي وغير تشكيلي.. إلخ. إلا فى عالم الفكر. الفكر بعيد عنا لأنه أصعب. لماذا هو كذلك - نريد أن نعرف!؟

نحن نتكلم فى الفكر حول مجموعة من الأفكار كالحرية والمساواة والديمقراطية والانتماء... إلخ. وهذه الأفكار لا هى علم ولا هى أدب! ولكنها فى الوقت نفسه هى مخازن القيم. وكثير منها نزل مع الأديان لأنها قيم تقود إلى طريق الحياة. كل واحدة من هذه الأفكار حرية - مساواة - ديمقراطية.. إلخ تحمل معها كيف أعيش لكى تكون الحياة مقبولة.

إن هذه المجموعة من الأفكار التى لا هى أدب ولا هى فن ولا هى علم فى الوقت نفسه، هى التى تعيش فى وجدان الأديب وتسرى فى شرايين العالم لتعطيه القيم التى يعيش بها، بل والتى يمارس بها أدبه وعلمه.

أما المشتغل بتحليل هذه الأفكار مطلوب منه أن ينمو بها إلى أقصى حد، لأن من خصائص هذه الأفكار أنها ليس لها تعريف ثابت

كالرياضة؛ معنى الحرية مثلاً لا أحد يستطيع أن يعطيك تعريفاً ثابتاً لها كتعريف المثلث مثلاً لأن الحرية ينمو معناها مع الزمن. هناك أناس يقولون أن المسلمين الأوائل عرفوا الحرية. لا إن الحرية بذرة والبذرة تخرج منها شجرة، والشجرة تكبر وتكبر... فالحرية، والكرامة والمساواة... إلخ. لا بد من مفكر يغذيها لتنمو. فإذا نمت في ثقافة الناس وما يقرأونه يصبح هؤلاء الناس قادرين على أن يقرأوا وهم يفهمون ما يقرأونه فيما يختص بهذا العصر الذي يعيشون فيه.

خذ مثلاً أنا واحد من الناس أرى أن أهم معنى للحرية في عصرنا هو المعنى الذي يجعلني حراً أمام ظواهر الطبيعة لكوني عرفت قوانينها. إذن لكي أظل حراً على أن أكون مبدعاً للعلم لاستخراج قوانين الطبيعة.

هذه هي الحرية، فهل كان الإنسان الأول واعياً بهذا المعنى للحرية؟! لكن هذا المعنى الآن لا بد منه، فالإنجليزي والأمريكي يتفوق على لأنه حر بهذا المعنى.. أما أنا فأنا حر بمعنى أنني طردت المحتل. وبعد ذلك لم أعرف ماذا أفعل. فبدأت أتسول منه كتبه وآلاته وأجهزته... إلخ.

ليس عندنا المفكر، المفكر بالدرجة الكافية لأنه في الغالب لا يوجد القارئ الذي يستسيغ تحليلات الفكر. وبالتالي لا يوجد نقد الفكر. هناك الأدب وعرفنا نقد الأدب. ولكننا لم نعرف الفكر بالقدر الكافي ولا يوجد لدينا نقده ومن هنا فالمسألة بالنسبة لهذا الميدان «سداح مداح» ..

فرغم أهمية الفكر البالغة إلا أنه متروك لكل من يقول، ويقول أى شىء لأنه لا يوجد من يردده...

السؤال العاشر: د. وفاء إبراهيم (كلية البنات - جامعة عين شمس) :  
أستاذى الدكتور/ زكى نجيب محمود، أنا أعلم اهتمامكم بالإنسان ككل، لكننى أود أن أتحدث عن جانب مهم جداً أعطيته اهتمامك، وهو الفن. فأى أساس من أسس الفلسفة المعرفية أو الوجودية أو القيمة يصلح أو يؤدي إلى الإفصاح عن طبيعة الفن بما هو فن ؟

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

فى الحقيقة أنه من الناحية الفلسفية حتى أفهم الفن بما هو فن لابد أن أجد مكانه فى التوحد الفلسفى الذى سأقيمه فى باقى فروع المعرفة، لأن الفيلسوف أى فيلسوف حينما يبحث عن مبدأ يضم العلوم كلها فى قضية واحدة أو فى مبدأ واحد، فإن عبقريته تهديه أيضاً إلى مبدأ يفسر به الفن. ويفسر به كل ظواهر الحياة الأخرى وعلى رأسها الفن.

إذن إذا وجد الفن المعين فى فترة معينة مكانه مع بقية أفراد الأسرة فهو فن يتلاءم مع العصر الذى يعايشه ويسير فى الطريق الصحيح. إنما إذا كان لا يمكن أن أضعه فى الأسرة المعرفية فسيكون هناك شذوذ بصورة ما.

خدى مثلاً، افرضى أن بيننا فنان ينسى أنه مصرى نسياناً تاماً، وحفظ بعض الأشياء عن الفن وصنع فنا. فإن المصرى لا يجد نفسه فى هذا الفن، ولا أقصد بالإنسان هنا الإنسان العادى فقط، بل أيضاً الإنسان المثقف. فكل إنسان يريد أن يرى نفسه فى فن عصره.

إذن حينما أفسر فنون أكثر العصور التاريخية التى عشناها أجد أن عصوراً فنية بها نجاحاً باهراً؛ وعلى سبيل المثال حينما أحضر قطعة آثار فرعونية صغيرة بحجم كف اليد وأعطيتها لإنسان صغير حتى لو كان فى الإعدادية، وأسأله: أين نشأت هذه؟! سيقول: هذه فرعونية! لماذا تعرف عليها!! لأن هناك روحاً واحدة سادت الفن الفرعونى لأكثر من أربعة آلاف سنة، روح وضعها الفنان فى كل ما صنع تجدها فى التمثال، فى اللوحة، فى المبنى كله... إنه طابع طبع كل شىء ولا يخطئ النظر حينما يرى أى جزئية من جزئياتها فيعرف أنها فرعونية.

لو أن فيلسوفاً جاء فى هذا العصر ليوحد المعرفة تحت مبدأ واحد، فإن الفن سيجد موضعه بسهولة، لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة بالمعنى العام.

كان نفس الشىء فى الفن الإسلامى، فأى جزء حتى لو كان «خمس ستيمتر فى خمس» من باب أو شباك أو مشربية. أو من «دفاية» أو من سراج. إلخ، فأى جزء تعرف أنه فن إسلامى مما يدل على أن الفن

الإسلامى استطاع أن يلور الروح الإسلامية فى صناعته، هذه الروح لا يخطئها إنسان.

نحن فى مصر الآن، من المؤكد أن فنائنا يقومون بدور مشرف. وإن كنت لا أدري إذا كان دون الهدف أم لا ولكن ممكن جداً لو وجد الفيلسوف الذى يوحد المعرفة فى مصر. يجد الفن التشكيلى كما هو قائم الآن فى موضعه ليس فقط من حيث الموضوع فهناك فنانون بحثوا فى الحروف الهجائية ليركبوا منها الصورة، حتى يصبح فناً عريباً. هذا جيد لكن ليس هذا ما نأمل فيه، فالمأمول أن يرسم الفنان ما يرسمه مستخدمًا تلك الألوان التى «تزعق» (تصيح) وتقول: أنا مصر! وهذه أفلح فيها كثيرون مثل صلاح طاهر مثلاً، لأن مصر ألوانها ثلاثة، زرقة السماء، وصفرة الصحراء. وخضرة الزرع. ومن شرب جو مصر جيداً لا يستطيع إلا أن يستخدم هذه الألوان لأنها مصر ولأنه ابن مصر. يرسم ما يرسم حتى لو كان الفكهائى؛ فمن بعيد ستجدى هذه الألوان فى البرتقال وفى الخس وفى أى شىء.. إنها الألوان الثلاثة، وحينما أقول أن المصرى سيجد نفسه فى اللوحة، أعنى أنه سيستريح للتركيب وللون لأنه يآلفه. انظرى إلى لوحات الفنان الإنجليزى ستجدى اللون الرمادى هو اللون الشائع فى لوحاتهم لأن السماء عندهم بهذا اللون الرمادى وهو لا يرى إلا اللون الرمادى.

---

والرد على سؤالك يكون أن الفن يكون في الدرجة المأمولة إذا ما وجد موضعه من وحدة المعرفة في مصر. فتحن لنا فكر سياسي، وغيره. ولنا فكر فلسفي . فهل هناك يا ترى ما يوحدنا. إذا وجدنا أن هناك ما يوحدنا ويندرج تحته الفن الذي ينتجه الفنانون، فهو فن جيد.

ختام الحوار :

على مدى ثلاث ساعات استمتعنا كثيراً بهذه المناقشات وبكل هذا الحوار الثقافي العالي جداً. والفضل في هذا يرجع للدكتور ناصر الأنصاري ولحضرات الزملاء الذين أسعدونا بحضورهم هذه الندوة الثقافية التي نرجو أن تتكرر فشكراً لكم جميعاً . وإلى اللقاء في لقاء ثقافي آخر.

(تصفيق)

## الهوامش

(١) يشير أستاذنا د. زكى نجيب محمود هنا إلى جوهر فكر سقراط، ألا وهو منهجه فى الفكر والحياة معاً. فلقد كان سقراط لا يفصل بين الفكر والحياة. بل كانت مواقف حياته هى ذاتها التى نستقى منها منهجه وأفكاره. وكان جوهر هذا المنهج وهذه الحياة هو أننى أفكر لأحيا هذا المعنى الذى عرفته للحرية إلى سلوك أعيشه فى حياتى اليومية. ولذلك كان قول سقراط الشهير «أن الفضيلة والمعرفة شىء واحد». يعنى أنه لا يهم أن أعرف معنى الفضيلة نظرياً، بل المعرفة عنده ينبغى أن ترتبط ارتباطاً مباشراً بالسلوك: لأن المعرفة النظرية بمعنى الفضيلة ستساوى بالجهل إذا لم تتحول إلى سلوك فعلى فى حياة العارف. «فالفضيلة علم والرذيلة جهل» بهذا المعنى الخاص جداً عند سقراط.

وهذا المنهج الذى لا يفصل بين ما أفكر فيه. وما أعيشه فعلاً فى حياتى اليومية هو ما أعجب به جداً أستاذنا د. زكى نجيب محمود، وحاول استثماره والإفادة منه فى فلسفته العلمية الداعية إلى أن

تتطابق مفردات التفكير مع مواقف الحياة، والداعية إلى صنع التقدم  
الإنساني عبر الفكر التحليلي العلمى.

(٢) لقد صرح أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود محرر هذا الصالون  
ذات صباح حينما كان يستعد ليلقى محاضرة افتتاحية لإحدى  
ندوات الجمعية الفلسفية المصرية فى أوائل التسعينيات، أن من أهم  
ما أسهم به فى الثقافة العربية المعاصرة هو «المقالة الأدبية» التى كان  
يبدعها ابداعاً غير مسبوق شكلاً ومضموناً! وكان يتعجب : كيف  
لم يتبه كل من درسوا فكرة، وكل من اهتموا به بالبناء البديع  
الذى ابتدعه فى أدب المقالة. ولعلها مناسبة أن نذكر كل المهتمين  
بدراسة فكر زكى نجيب محمود الأدبى والنقدى بذلك وأن ندعوهم  
لدراسة أدب المقالة عنده.

(٣) يشير أستاذنا هنا إلى دور اللغة فى التقدم الحضارى؛ فحينما يسود  
بين الناس نمط اللغة العلمية التى تشير كل مفرداتها إلى واقع مادى  
ملموس تجده أنه لا يوجد بين هؤلاء الناس تلك الإزدواجية بين الفكر  
والواقع. فاللغة العلمية هى أحد أسس التفكير العلمى الذى يصنع  
تقدم الأمم ويقضى على الإزدواجية المفتعلة بين الفكر والواقع.

(٤) «المهابهاراتا» أحد النصوص الرئيسية في الفكر الهندي، وتعود في تاريخها إلى الفترة الثانية من تطور الفكر الفلسفي الهندي التي يطلق عليها مرحلة الأناشيد التي تقع بين عامي ٥٠٠ أو ٦٠٠ ق.م إلى ٢٠٠ بعد الميلاد. وتعتبر هذه المرحلة من أخصب الفترات الفلسفية الهندية حيث أنتج فيها الكثير من النصوص الفلسفية وشبه الفلسفية.

(انظر : د. رادا كرشنا ود. شارلز مور: الفكر الفلسفي الهندي، ترجمة ندره اليازجي، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م ، ص ٩ ، ص ٢٣٩ وما بعدها.

(٥) يشير د. زكى نجيب محمود هنا إلى نظرية رسل في أصل الرياضيات، حيث يعتبر رسل أنه يمكن العودة بالرياضيات إلى المنطق، نظراً لأنه لا يمكن تعريف العدد إلا على أساس مفهوم «الفئة» المنطقي. فكل عدد من الأعداد الطبيعية إنما هو فئة فئات، تشتمل على عدد معين من الأعضاء، فالعدد عموماً هو فئة فئات، والعدد واحد هو فئة الفئات التي يشتمل كل منها على عضو معين. وهكذا...

---

(٦) «المصدق»: إصطلاح منطقي يعنى الأفراد الذين ينطبق عليهم صفات معينة تشكل ما يسمى فى المنطق أيضاً «بالمفهوم». أى أن كل شىء من الأشياء الواقعية لابد أن يكون له مفهوم وما صدق؛ أما المفهوم فهو الصفات المشتركة بين هؤلاء الأفراد الذين يسميهم مثلما تقول أن الإنسان هو الحيوان العاقل. أما المصدق فهو محمد وأحمد وعلى وحسين... إلخ من أفراد البشر الذين ينطبق عليهم هذا المفهوم.

وبالطبع فإن الأسلوب العلمى هو دائماً الذى يتحدث صاحبه عن وقائع وأحداث وظواهر ذات ما صدقات محددة ومعروفة.

# الفهرس

الصفحة

الموضوع

- الإهداء ... ٧
- تقديم السلسلة ... ٩
- تصدير ... ١٤
- زكى نجيب محمود فى سطور ... ٢٤
- الفصل الأول**

صورة عامة لحياة زكى نجيب محمود

- ٢٧ — كما قدمها بنفسه فى صالون الأوبرا الثقافى
- الفصل الثانى**

الحوار الذى دار بين زكى نجيب محمود

- ٥٥ — وبين مفكرى مصر
- ٥٦ — مع حسن حنفى
- ٦٨ — مع مراد وهبه

الصفحة

الموضوع

- مع أبو الوفا التفتازاني ٧٢
- مع قدرية إسماعيل ٨٦
- مع عبدالفتاح السيد ٩٦
- مع وفاء إبراهيم ١٠١
- ختام الحوار ١٠٤
- الهوامش ١٠٥

## مؤلفات أ. د. مصطفى الفشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية :

- صدرت الطبعة الأولى عن دار التنوير - بيروت ١٩٨٤م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة مدبولي بالقاهرة ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٥م.
- صدرت الطبعة الثانية والثالثة عن نفس الدار عامي ١٩٨٧-١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٣) نظرية العلم الأرسطية - دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن دار الثقافة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٤) فلاسفة أيقظوا العالم:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٨٨م.

- صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الجامعى بالعين، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٠م.

- صدرت الطبعة الثالثة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٨م.

(٥) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفى باللغة العربية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

- صدرت الطبعة اثنانية بعنوان «نحو تأريخ عربى للفلسفة» عن دار قباء عام ٢٠٠١م.

(٦) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات فى الفلسفة المصرية واليونانية.

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٢م.

- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٧) مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٩) التفكير الفلسفى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبی عام ١٩٩٥م.

(١٠) التفكير المنطقى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبی عام ١٩٩٥م.

(١١) مكانة المرأة فى فلسفة أفلاطون - قراءة فى محاورتى «الجمهورية والقوانين»:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠١م.

(١٢) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة فى الفكر التاريخى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٣) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٤) مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع  
بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٥) مدخل جديد إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٨م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٣م.

(١٦) الخطاب السياسى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٨م.

(١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الأول)  
السابقون على السوفسطائيين:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٨م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤م.

(١٨) ضد العولمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٩م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار القاهرة عام ٢٠٠١م.

(١٩) فى فلسفة الثقافة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٩م.

- (٢٠) تطور الفكر السياسى القديم من صولون حتى ابن خلدون:  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ١٩٩٩م.
- (٢١) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الثانى)  
السوفسطائيون - سقراط - أفلاطون:  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة على ٢٠٠٠م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤م.
- (٢٢) بين قرنين - معا إلى الألفية السابعة:  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،  
القاهرة عام ٢٠٠٠م.
- (٢٣) رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة فى القرن العشرين.  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع  
بالقاهرة عام ٢٠٠٢م.
- (٢٤) أرسطوطاليس - حياته وفلسفته:  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- (٢٥) أعلام التراث الفلسفى المصرى - ذو النون المصرى رائد  
التصوف الإسلامى:  
- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع  
بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

(٢٦) أعلام التراث الفلسفى المصرى - على بن رضوان وفلسفته النقدية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع  
بالقاهرة عام ٢٠٠٣ م.

(٢٧) ما بعد العولمة - قراءة لمستقبل التفاعل الحضارى:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع  
بالقاهرة عام ٢٠٠٣ م.

(٢٨) حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية للطباعة  
والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٤ م.

(٢٩) ثقافة التقدم وتحديث مصر:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام  
٢٠٠٤ م.

(٣٠) الفكر الفلسفى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام  
٢٠٠٤ م.

(٣١) تطور الفلسفة السياسية (من صولون حتى ابن خلدون):

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام  
٢٠٠٥ م.

(٣٢) مدخل إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام  
٢٠٠٥ م.